مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية ٢٠٢٤ المجلد ١٤/ العدد ٤

صورة المرأة بين الشرق والغرب في رواية "موسم الهجرة إلى الشمال" للطيب صالح، دراسة نقدية ثقافية

م. هيام نوماس عثمان

مديرية تربية ميسان

البريد الإلكتروني Email : Heyamnomas80@gmail.com

الكلمات المفتاحية: صورة، المرأة، الطيب صالح، موسم الهجرة إلى الشمال .

كيفية اقتباس البحث

عثمان ، هيام نوماس، صورة المرأة بين الشرق والغرب في رواية "موسم الهجرة إلى الشمال" للطيب صالح، دراسة نقدية ثقافية، مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية، تشرين الاول ٢٠٢٤،المجلد:١٤ ،العدد:٤ .

هذا البحث من نوع الوصول المفتوح مرخص بموجب رخصة المشاع الإبداعي لحقوق التأليف والنشر (Creative Commons Attribution) تتيح فقط للآخرين تحميل البحث ومشاركته مع الآخرين بشرط نَسب العمل الأصلي للمؤلف، ودون القيام بأي تعديل أو استخدامه لأغراض تجارية.

مفهرسة في Indexed
IASJ

مسجلة في Registered
ROAD

The image of women is a cross between East and West in the novel “Season of Migration to the North” by Tayeb Salih, a cultural critical study

Ms. Hiam Nomas Othman
Maysan Education Directorate

Keywords : Image, Women, Tayeb Salih, Season of Migration to the North.

How To Cite This Article
Othman, Hiam Nomas, The image of women is a cross between East and West in the novel “Season of Migration to the North” by Tayeb Salih, a cultural critical study, Journal Of Babylon Center For Humanities Studies, October 2024,Volume:14,Issue 4.

This is an open access article under the CC BY-NC-ND license (http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International License.

Abstract

The study aims to reveal the image of women and their models and the human, social, cultural and civilizational issues and manifestations that this image raises in a great writer and novelist who witnessed the experience of belonging to the East and read the event of alienation in the West. He is considered one of the most important novelists of the twentieth century, namely “Tayeb Salih”, through his significant novel model represented in his famous novel “Season of Migration to the North” by presenting two female models, each of which belongs to two different cultures: the sadistic wife represented by the character of “Jane Winifred Morris” from Western culture, and the defiant widow represented by the character of “Hasna bint Mahmoud” from Eastern culture. The study used the cultural criticism approach to trace the most important cultural signs included in the image of women within the text, and to link those signs to their cultural connotations outside the text. One of the most prominent results reached by the study is the difference in the human contents presented by the female model in both

cultures, according to the difference in the social, cultural and political values from which both female models draw, as each one raised issues, pains, disappointments, strengths and weaknesses that differed from the other.

المستخلص

تهدف الدراسة إلى الكشف على صورة المرأة ونماذجها وما تثيره تلك الصورة من قضايا وتجليات إنسانية واجتماعية وثقافية وحضارية عند كاتب وروائي كبير شهد تجربة الانتماء للشرق وقرأ حدث الاغتراب في الغرب، ويُعّد من أهم كتاب الرواية في القرن العشرين وهو "الطيب صالح" عبر نموذجه الروائي الدال والمتمثل في روايته الشهيرة "موسم الهجرة إلى الشمال" عبر طرح نموذجين انثويين ينتمي كل منهما إلى ثقافتين مختلفتين هما الزوجة السادية المتمثلة في شخصية "جين ونفرد مورس" من ثقافة الغرب، والارملة المتحدية المتمثلة بشخصية "حسنة بنت محمود" من ثقافة الشرق. وقد استعانت الدراسة بمنهج النقد الثقافي لتتبع أهم العلامات الثقافية التي تضمنتها صورة المرأة داخل النص، وربط تلك العلامات بمحمولاتها الثقافية خارج النص، ومن أبرز النتائج التي توصلت اليها الدراسة هي اختلاف المضامين الإنسانية التي عرضها النموذج الانثوي في كلتا الثقافتين وذلك تبعاً لاختلاف القيم الاجتماعية والثقافية والسياسية التي ينهل منها كلا النموذجين الانثويين فكل واحدة طرحت قضايا والآم وخيبات وقوة وضعف تختلف عن الأخرى.

المقدمة

الطيب صالح أديب وروائي وصحفي سوداني، من مواليد يوليو ١٩٢٩م، السودان، توفي في فبراير ٢٠٠٩م في لندن، من أشهر الأدباء العرب في القرن العشرين، أُشتهر في الرواية والقصص القصيرة، فأطلق عليه النقاد لقب "عبقري الرواية العربية" عاش في بريطانيا وقطر وفرنسا، عرف بروايته "موسم الهجرة إلى الشمال" التي صدرت عام ١٩٦٦م، والتي تصنف من أهم الروايات في الأدب العربي ترجمت رواياته وقصصه القصيرة إلى ما يزيد على عشر لغات. طرح الطيب صالح في روايته الشهيرة " موسم الهجرة إلى الشمال " منظومة القيم الإنسانية والثقافية والاجتماعية والسياسية بين ثقافتي الشرق والغرب والعلاقة بين الثقافتين ونظرة كل منهما للآخر.

وقد سعت الدراسة هذه "صورة المرأة بين الشرق والغرب" للطيب صالح إلى الكشف عن نموذج المرأة وحضورها وقضاياها وقوتها وضعفها في ظل ثقافتين متقابلتين وعرض ما يحمله كل نموذج او كل صورة من محمولات ثقافية نسقية تكشف عن الرؤية الاجتماعية والثقافية

والسياسية المتوارية خلف استار النص، وقد تجسد ذلك في نموذجين هما الزوجة السادية من الغرب المتمثلة في شخصية "جين وينفرد موريس" والارملة المتحدية من الشرق المتمثلة بشخصية "حسنة بنت محمود".

اعتمدت الدراسة على منهج (النقد الثقافي) في الوقوف على بعض النصوص النثرية في رواية "موسم الهجرة إلى الشمال" في ضوء خطة شملت مقدمة ومبحثين وخاتمة بالنتائج التي توصلت إليها الدراسة وقائمة المصادر والمراجع، وتطرقنا في المبحث الأول إلى معنى الصورة لغة واصطلاحاً، ومعنى المرأة لغة واصطلاحاً، وصورة المرأة في الرواية العربية، اما المبحث الثاني فجاء يمثل الجانب التطبيقي للدراسة والذي يمثل عرض لصورة المرأة في الرواية المعهودة ثم خاتمة بالنتائج وقائمة للمصادر والمراجع.

١- مفهوم الصورة:

أ- لغة:

جاءت مفردة "الصورة" في مواضع لغوية عدة، فقد وردت في لسان العرب: "الصورة ترد في كلام العرب على ظاهرها وعلى معنى حقيقة الشيء، وعلى معنى صفته، يُقال صورة الفعل كذا أي هيئته... كما جاء في الحديث: أتاني في أحسن صورة وتجوز أن يعود المعنى إلى النبي (صلى الله عليه وسلم): وأتاني ربي وأنا في أحسن صورة" وعنى الصورة تجري كلها عليه ان شئت ظاهرها او هيئتها او صفتها"[١].

ب- اصطلاحاً:

يتنوع مفهوم الصورة عند النقاد العرب قديمهم وحديثهم إذ يرى الجاحظ بأنها الجانب الجمالي في الشعر، ولا يحسن الّا بوجودها فهو يشير إليها قائلا: "إنّما الشعر صناعة وضرب من النسيج وجنس من التصوير"[٢].

في حين يقول فيها عبد القاهر الجرجاني أنها: "ليست هي الشيء نفسه وانما هي مميزاته المفرقة له عن غيره، وهذه المميّزات قد تكون في المضمون؛ لأن الصورة مستوعبة لهما والنظرة لأحدهما لابد أن تنعكس على الآخر"[٣]. فيرى "أنها صورة الشيء مابه يحصل الشيء فعلاً"[٤].

اما النقاد المحدثون فيرون "أنّها ما يعرف به ايراد المعنى بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه، إنها تحت مظلة التشبيه والاستعارة والمجاز والكناية والرمز تعد (مادّة)"[٥].

في حين يرى جابر عصفور أنها: "الوسيط الأساسي الذي سيكشف به الشاعر تجربته، ويتفهمها او يجسدها بدون الصورة"[٦].

وقد وردت كلمة الصورة في القرآن الكريم مرات عدة منها قوله تعالى: ﴿**وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ**﴾[٧]، وقوله تعالى أيضاً": ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ**﴾[٨]، وكذلك قوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ**﴾[٩]، وأيضا في اسمائه الحسنى عزل وجل يقول: ﴿**هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ**﴾[١٠]، ويتضح مما تقدم انت كلمة (الصورة) لفظ متعدد المعاني بحسب سياق الجملة ومقامها لكن في اغلبها هي الهيئة او الشكل.

يتضح مما تقدم ان الصورة هي معنى الشيء وصفته وظاهره وهي وسيلة أو أداة أو طريقة للتعبير عن أفكار المبدع ومشاعره ومعانيه.

٢- مفهوم المرأة:

أ- لغة:

المرأة مؤنث مرء والمرأة لها عدة صيغ فإلى جانب مرء مرأة تقرأ امرأة، ... وتدخل "ال" التعريف على المرأة والمرّة ولا تدخل على امرأة إلّا في شواذ وجمع المرأة نساء، ونسوة ونسوان، وبالنسبة إلى الجمع الثنائي والنسوي، ونسواني والنّسوان هي الدراجة في لغة الكلام المعاصر[١١] ونسوان ونساوين عامي والمستعمل في لغة الكلام نسوان ونساوين[١٢].

ب- اصطلاحاً:

إن المرأة تتميز بأعضاء وأجهزة بيولوجية خاصة بها، تحدد ذاتيتها وتصفها في إطار لا تستطيع ان تحيد عنه وهذا الإطار الذي يفيدها هو الذي يشكل أنوثتها، ومع أن هذه الأعضاء والأجهزة البيولوجية لن تتغير إطلاقاً مهما قامت المرأة بأي عمل من الأعمال فان البعض من أمثال الأستاذ الحكيم – يذهبون إلى أن المرأة فقدت انوثتها في العصر الحديث[١٣]، فللمرأة شخصية تختلف عن شخصية الرجل سواء في الهيئة أم في طريقة الحديث واللباس أم في الذوق والاهتمامات وبعد فان للمرأة لا يمكنها ان تشعر بحريتها الا بالعمل واقتحام ميادين الحياة العامة، وليس بالمنصب الذي يرشحها إليه الأستاذ الحكيم كي تكون محافظة على انوثتها[١٤].

صورة المرأة في الرواية العربية:

حظيت المرأة في الرواية العربية بأهتمام كبير تنوعت مستوياته واختلفت اشكاله وهيأته، إذ لطالما تسابق الأدباء في رسم صورتها حتى أصبحت المرأة هي المحور في أعمالهم سواء بتركيزهم عليها بشكل مباشر، إذ يعبرون عن رغباتها وهمومها وواقعها وحقيقتها وان اختلفت مستويات الدقة في التعبير عن تلك الأجزاء الرئيسية من حياتها أو بشكل غير مباشر، حين تمثل منطلقاً فكرياً للأدباء يعبرون من خلاله عن تفاصيلهم الذاتية والسياسية والاجتماعية لتصبح المرأة رمزاً فنياً ثرياً بالعديد من الدلالات، "ولهذا اهتم بها الشعراء والروائيون في رواياتهم وقد

عبروا عنها في صور عدة في أعمالهم؛ لأن حركة المرأة ترتبط بحركة المجتمع من جهة ومن جهة أخرى تمثل دلالة ورمزاً ثرياً موحياً بالوطن"[١٥].

وقد وردت صورة المرأة في كثير من الروايات في صورتين: صورة المرأة المقهورة السلبية، وصورة المرأة المستقلة بذاتها، هذا من خلال هذا القول: "ولطالما كانت صورة المرأة صورة نمطية فهي المرأة المقهورة السلبية المتلقية الخاضعة للهيمنة الذكورية، التابعة المتلقية المقموعة، ولم تخرج عن هذه الصورة إلا في الرواية العربية الحديثة، حيث أصبحت شريكة الرجل، وامرأة إنسانية تحمل مسؤولية وهي الأُم المناضلة وبشكل عام الصورة تنبع من وعي وثقافة الكاتب"[١٦]، ومن وجهة نظر إخرى هناك من نظر لها على أنها تمثل محوراً للخير والشر معاً فهي شر عندما تكون عائقاً لأحلام الرجل وهي خير عندما تساعده، وقد اعتبرها البعض أيضاً انها رمز لنهضة المجتمع، فهي ترمز إلى السقوط والانهيار الذي يعاني منه المجتمع فإذا سقطت اخلاقها يسقط المجتمع وإذا تطورت تحدث نهضة في المجتمع، ويمكن تمثيل المرأة في صورة المرأة العبء في الواقع المليء بالتشتت والضياع[١٧].

صورة المرأة في رواية الطيب صالح (موسم الهجرة إلى الشمال)

أولاً: صورة المرأة في الشرق

صورة المرأة المتمردة:

وهي صورة غير نمطية، لا تخضع فيها المرأة إلى سلطة الفكر الذكري، الذي هو عبارة عن اصنام فكرية جامدة او اجتهادات ذكورية فردية وجمعية تسعى إلى تحويل المرأة من انسان متعدد الابعاد إلى مجرد انثى هدفها الوحيد هو خدمة الذكر وقد قدس الذكر والمجتمع تلك الأفكار وآمنوا بها بقوة، لأنها تتناغم مع رغباتهم الفردية بدون أي اعتبارات إنسانية تراعي مصلحة الآخر/ المرأة، فشكلت السلطة الفكرية الذكورية حجر عثرة في طريق كل امرأة تسعى إلى الموازنة في أحد طرفي المعادلة الإنسانية في الحياة المتمثلة بالآخر/ المرأة، لكي تكون قادرة في ان تريد في حياتها او لا تريد، فعندما تمتلك المرأة وبالفطرة السليمة الوعي العميق بذاتها كطرف متساوٍ في القيمة الإنسانية مع الطرف الآخر/ الرجل ومتوازية معه في الحقوق يدق جرس الخطر فيهتف في آذان السطلة الذكورية كطفح جلدي يطفو على سطح عقولهم من أفكار جامدة تتأخذ المسميات والعناوين العريضة التي ترمز إلى النقص والشر واللعن تجاه مكون المرأة بالظهور كمحاولة لكبت ذلك الصوت أو قتله كما نجد ذلك في المدونات الاجتماعية والدينية والتأريخية والأدبية والسياسية... الخ.

كما وجدنا ذلك في شخصية "حسنة بنت محمود" في رواية الطيب صالح (موسم الهجرة إلى الشمال) فكان التمرد المصبوغ بصبغة العنف هو وسيلتها الدفاعية الوحيدة لرفض القناعات المفروضة عليها قسراً وملامسة تغييرها ولو بالقوة، إذ تحولت مشاعرها التي من المفترض ان تكون منبعاً للحب والعطف والاحتواء والرعاية والاحتضان تثمر بها حركة الحياة بالابداع والعطاء إلى مشاعر مقاتل متمرد شرش، فبدأت شخصية "حسنة" باتخاذ خطوات يائسة تمردت بها على كل من حولها، خصوصاً أنها صرحت لفظياً وأكثر من مرات عديدة انها تريد ان تعيش على ذكرى زواجها من مصطفى سعيد وانها ترفض الزواج من أي رجل آخر بعده بعدما وصفته بالكرم وانتزعت منه سمة التقصير، إذ تقول: "كان زوجاً كريماً وابا كريما، طول حياته لم يقصر معنا"[١٨].

الا وفاء "حسنة" لذكرى زوجها ورغبتها في الاكتفاء فقط في تربية ولديها اليتيمين لم يكُ مبرراً مرضياً في نظر السلطة الذكورية، فلم تبال تلك السلطة بمشاعر "حسنة" أو الآمها أو احلامها، وقوبلت تلك الرغبة بمواجهات غليظة لا تعرف الرفق او الرحمة رغم تصريحها الواضح بأنها لا تريد الارتباط بأي رجل آخر بعد وفاة زوجها "مصطفى" إذ تقول حسنة: "بعد مصطفى سعيد لا ادخل على رجل"[١٩]، وبدأ إصرار الفكر الذكوري باخضاع "حسنة" وتجلى ذلك واضحاً بخذلان قرباها (الأب والأخوة) حين اعلنوا الموافقة على زواجها من ذلك العجوز الخرف كما ورد في الرواية على لسان الراوي "ود الريس يريد زواجك وابوك واهلك لا يمانعون، كلفني ان اتوسط له عندك"[٢٠].

فألُو أمرها المقربون (الأب والأخوة) الذين من المفترض ان يعمدوا على محاربة السلطة الذكورية وكسر نسقها ويرسموا له حدوداً تصنع الأمان النفسي والجسدي والحب والرعاية والحماية والدعم لابنتهم الارملة الشابة ام الايتام وما احوجها إلى كل ذلك في معارك الحياة الفارقة تلك.

فتحولوا هم أيضاً إلى آلة للكبت والترهيب والتعنيف تهدد صفاء حياة "حسنة" واستمرارها ورغبتها في تربية ولديها اليتيمين بدفء وحنان عبر إصرار ذويها المقربين (الأب والأخوة) على زواجها من رجل عجوز أخرق أكل الدهر عليه وشرب زير نساء يبدل النساء كما يبدل الحمير.

والذي تمثل في شخصية ود الريس، مما زاد "حسنة" اصراراً على موقفها وجعله أكثر حدة إذ قالت: "إذا اجبروني على الزواج فإنني سأقتله واقتل نفسي"[٢١].

وقد عمدت "حسنة" بقولها هذا إلى التمرد على نسق السلطة الذكورية بكل اجزائها وصورها المتمثلة بالأب والأخوة واهل القرية رجالاً ونساءً كل تلك الفئات التي منحت لنفسها حق التصرف في حياة "حسنة" وادارتها دون الرجوع عليها او مشاورتها لتختار ما تريد كما جاء في

الرواية "أبوها أعطى ود الريس وعداً عقدوا له عليها، ابوها شتمها وضربها وقال لها تتزوجينه رغم انفك، انه لا يريد ان يصبح اضحوكة، ماذا يقول الناس ابنته لا تسمع كلامه"[٢٢].

لكن "حسنة" اعجزت السلطة الذكورية رغم تعنيف وإرهاب ادواتها، فرفضت قيمها البليدة التي تفتقد إلى روح الحياة واستطاعت ان تخرج من دائرتها وان كان ذلك المخرج مؤلما وقاسياً وعنيفاً، فسلبت بذلك السلطة الذكورية المتمثلة بـ(الأب والأخوة) من جهة وود الريس والمجتمع من جهة أخرى هيبتها، عندما قتلت نفسها وقتلت ود الريس، فأصبحت تلك السلطة عاطلة عن تحقيق ما ارادت فمزقت احكامها الجائرة وكسرت قيودها، فلم تستطيع ان تحقق تلك السلطة رغم بطشها ما تريد، حيث أعلنت وبحزم شديد رفضها الولاء والامتثال للسلطة الذكرية الجائرة، وتروي بنت مجذوب مشهد الحادثة إذ تقول: "أخذ صراخ بنت محمود يشتد، ثم سمعت ود الريس يصرخ بأعلى صوته يا بكري، يا صاح احمد، بابت الريس، يا جماعة بنت محمود قتلتني"[٢٣] "صرخة واحدة تهد الجبال من ود الريس، ثم صرخة مثلها من بنت محمود"[٢٤].

وقد رافق ذلك المشهد صوراً مريعة من العنف الذي كان مزيجاً من الصراخ إلى الأذى الجسدي حتى وصل إلى إراقة الدماء، تقول بنت مجذوب في سرد مشهد الحادثة المروعة: "وجدناهما في غرفة ود الريس الصغيرة المطلة على الشارع، كان المصباح موقداً، ود الريس عارٍ كما ولدته أُمه وبنت محمود ثوبها ممزق وسراويلها هي الأخرى عارية، كان البرش الأحمر يعوم في الدم، ورفعت المصباح ووجدت بنت محمود معضوضة ومخدوشة في كل شبر من جسمها وبطنها، اوراكها، رقبتها، عض حلمة نهدها حتى قطعها الدم يسيل من شفتها السفلى، ود الريس مطعون أكثر من عشر طعنات، طعنته في بطنه وفي صدره وفي محسنه"[٢٥].

وقد اصطبغ تمرد "حسنة" بأبشع درجات العنف كما هو ملاحظ من إشارات النفس، ويبدو ان ذلك التمرد العنيف لـ"حسنة" انما يعكس انتقامها للقيم الإنسانية المخذولة في حياتها والتي انتهكت من قبل المجتمع بمختلف صوره سواء كان أسرة او أصدقاء او معارف من أهل القرية كما جابهها المجتمع بخذلان آخر غير مشروع ولا انساني وعرض "حسنة" مرى أُخرى للنقمة والغضب والخذلان لان تمردها جاء كسراً لنسق السلطة الذكورية المتجبر حينما رفضت قناعات المجتمع الجائرة وذلك برفضها الزواج من ذلك العجوز الخرف ود الريس، فحملت لواء الدم المتدفق ليشفي غليلها من عقد المجتمع التي لم تزول حتى بعد موتها لانها متجذرة منذ القدم، وهذا ما تجلى واضحاً في ردود أفعال المجتمع بكل صوره المصغرة التي حيرت الجلاد ضحية والضحية الجلاد، فاطلق احكامه الجائرة على الضحية المقتولة "حسنة" فتارة يصفها بالشيطان كما جاء على لسان الراوي يقول: الحاج أحمد: "لعنة الله على النسوان، النسوان اخوات الشياطين

ود الريس ود الريس وانفجر جدي يبكي، انني لم اره يبكي في حياتي"[٢٦]، كما وصفها بالشؤم إذ يقول الحاج أحمد: "قلت لود الريس هذه المرأة شؤم ابعد عنها، انما الاجل"[٢٧].

ومنهم من وصف فعلها بانه لم يسبقها به أحد، كما جاء على لسان بنت مجذوب حيث تقول: "الفعل الذي فعلته بنت محمود لا يجري به اللسان، شيء ما رأيناه ولا سمعنا بمثله لا في الزمن السابق ولا اللاحق"[٢٨]، كما وصفت بالجنون، "فجنون بنت محمود ليس مثله في الاولين والآخرين"[٢٩].

أما ابوها "فهو طريح الفراش لا يخرج ولا يقابل أحداً"[٣٠]، وتوضيح رجاء النقاش في مقدمة الرواية أسباب الجريمة التي مارستها "حسنة" بالقول: "فرضوا على حسنة ان تتزوج من العجوز "ود الريس"، أي ان تعود إلى الماضي التقليدي الجامد، فكانت النتيجة أن قتلته وقتلت نفسها، وبذلك تكون "حسنة" قد قتلت التقاليد القديمة التي تعودت أن تجعل من المرأة شيئاً من المتاع المادي وليست "إنسانة" ذات عاطفة مستقلة، انها قتلت رمزاً من رموز الماضي بتقاليده ونظرته الخاطئة إلى الحياة، واحدثت بهذه (الجريمة) صدمة مفجعة لمجتمع قريتها الشرقي الافريقي الهادئ البسيط، لقد استيقظ هذا المجتمع فجأة على هذه الجريمة الحادة القاسية وفي هذه الجريمة سقطت حسنة شهيدة حبها، وشهيدة حرصها على ألا تتراجع عن العالم الجديد الجميل الذي خلقه لها زوجها الأول"[٣١]، فجريمة "حسنة" هي قتل للوجدان الافريقي بتقاليده القديمة بحثاً عن وجدان افريقي جديد[٣٢].

صورة المرأة في الغرب

– المرأة السادية: وهي صورة المرأة المضطربة نفسياً، تدور احداث شخصيتها حول اذلال الآخر/ الرجل والتسلط عليه والتحكم في افعاله عبر الامتثال لقراراتها وتنفيذ أوامرها فغايتها هو الحاق الضرر سواء كان لفظياً او جسدياً كنوع من المتعة التي تربطها المرأة السادية بالألم والعذاب الذي يلحق بالرجل لأنها تتلذذ جداً بتعلق الآخرين بها ومطاردتهم إياها والتلاعب بمشاعرهم، وهذا ما تجده الدراسة في شخصية "جين موريس وينفرد" وتلاعبها بأعصاب وانفعالات ومشاعر الزوج حيث يقول مصطفى سعيد "زوج جين موريس": "لبثت أُطاردها ثلاثة أعوام كل يوم يزداد وتر القوس توتراً، قربى مملوءة هواء، وقوافلي ظمأى والسراب يلمع امامي في متاهة الشوق، وقد تحدد مرمى السهم، ولا مفر من وقوع المأساة وذات يوم قالت لي: أنت ثور همجي لا يكل من الطراد، انني تعبت من مطاردتك لي ومن جري امامك تزوجني"[٣٣].

وهنا القت "جين موريس" بشباكها على طريدتها الزوج "مصطفى سعيد" القادم من الشرق، فاوهمته بطريقة محتالة ناعمة انها تريد ان تنهي قصة المطاردة المتعبة تلك بالزواج

منه، حيث انه من المفترض ان القرن العشرين هو قرنا انتقاليا في الوعي الفكري والثقافي والإنساني باعتباره يجسد الشاهد على تحرر الانسان والشعوب من العبودية تبناها قادة ومفكرون وفلاسفة من حضارة الغرب فجاءت بحقوق للإنسان لم تك مألوفة لديهم من قبل خصوصاً في نظرتها إلى الآخر / الشرقي الاسمر والذي تمثل هنا في شخصية "مصطفى سعيد" الزوج والتي من المفترض ان ينعكس بظلالها الوافرة على العلاقة بين الثقافتين (الشرق الاسمر و الغرب الابيض) عبر انسجام بين المكونين الثقافيين الا ان الأفعال التي تصدر من "جين موريس" تجاه "مصطفى سعيد" الزوج تُظهر خلاف المطلوب، فما زالت عقدة "المستعمر" المتعالية تلك العقدة التي يتبنى حاملها سلوكاً عدوانياً تجاه الآخرين، فهو يفتقد إلى الثقة بهم او احترامهم ومنحهم القيمة الإنسانية التي يستحقوها، وهذا ما فعلته "جين موريس" بالضبط، إذ أحاطت نفسها بالعزلة والانفراد لانها لا تشعر بالانتماء والاندماج مع الآخر / الرجل القادم من الشرق وان كان الآخر/ الزوج او شريك الحياة، فخلقت المسافات البعيدة بينها وبين الآخر / الزوج هو وسيلتها للتلاعب به والسيطرة عليه او التحكم فيه وهذا ما جناه "مصطفى سعيد" من زواجه الكاذب بـ"جين" حيث يقول: "غرفة نومي صارت ساحة حرب – فراشي كان قطعة من الجحيم امسكها فكأنني اسمك سحابا، كأنني أُضاجع شهابا كأنني امتطي صهوة نشيد عسكري، وما تفتأ تلك الابتسامة المريرة على فمها اقضي الليل ساهراً، أخوض المعركة بالقوس والرمح والسيف والنشاب، وفي الصباح أرى الابتسامة ما فتئت على حالها، فاعلم اني خسرت مرة أخرى كأنني شهريار رقيق تشتريه في السوق بدينا صادف شهرزاد مستولة في انقاض مدينة قتلها الطاعون"[٣٤]، فكان تلك المرأة لا تعرف طريقا للمشاعر او العواطف ابدأ فهي قاسية نفسياً جداً إلى درجة الموت لا تسعى في زواجها من "مصطفى سعيد" الا إلى كسب غرورها وتعاليها ولو كان على حساب زوجها مما يعني اصابتها باعتلال نفسي، ولعل اعتلالها النفسي بدت بوادره واضحة اثناء عقد قرانها على "مصطفى سعيد" في الكنيسة، إذ يقول مصطفى: "وظلت تبكي إلى أن خرجنا من مكتب التسجيل وفجأة انقلب بكاؤها إلى ضحك، قالت وهي تقهقه بالضحك يالها من مهزلة، ولما ضمنا الفراش ليلاً أردتها فأدارت لي ظهرها وقالت ليس الآن انا متعبة وظلت شهرين لا تدعني أقربها كل ليلة تقول: أنا متعبة، أو تقول: أنا مريضة"[٣٥].

فتحول اضطرابها النفسي وازدواجيتها الغليظة إلى رغبة شديدة في قتلها هذا ما أشار إليه الزوج مصطفى بقوله: "وقفت فوقها ذات ليلة والسكين في يدي، قلت لها: سأقتلك نظرت إلى السكين نظرة بدت لي أن فيها لهفة وقالت ها هو صدري مكشوف أمامك، اغرس السكين في صدري فنظرت إلى جسمه العاري في متناول يدي ولا اناله جلست على حافة السرير ونكست

راسي بدله، وضعت يدها على خدي وقالت بلهجة لم تخل من رقة: انت يا حلوي لست من طينة الرجال الذين يقتلون، فأحسست بالذلة والوحدة والضياع"(٣٦).

وفي كلام (الزوج) عن جين موريس ما يشير إلى دلالات لفظية ومعنوية ان "جين موريس" كانت تعيش صراعاً نفسياً وصورة ذاتية متدنية عن نفسها تعكسها في الآخر/ الزوج الأسمر الشرقي، فهي تعاني الضياع وفاقدة للأمن الروحي والسلام الداخلي فكأن داخلها حرب نيرانها مستعرة لا تنطفئ، فابتكرت لتلك الحرب سلاحاً وهو "ساديتها" عبر تعاملها مع زوجها "مصطفى سعيد" المنتمي إلى حضارة الشرق السمراء، الا ان ثمة علاقة بين ساديتها لإذلال "مصطفى" وبين خوائها نفسياً الذي أدى بها في آخر المطاف إلى الانتحار، إذ يبدو ان استسلمت لـ الآمها وعذاباتها التي وصلت إلى درجة عجزها ومن ثم الانتحار على يد الزوج مصطفى سعيد الذي عمد إلى قتلها بعد طول عذاب.

وهذا ما نراه في النهاية التي خطتها "جين موريس" على يد زوجها مصطفى سعيد إذ يقول: "ثم امسكت الخنجر وقبلته بلهفة وفجأة اغمضت عينيها وتمطت في السرير رافعة وسطها قليلاً فاتحة فخذيها أكثر وتأوهت وقالت: أرجوك يا حلوي هيا أنا مستعدة الآن لم استجب لندائها فتأوهت آهة أكثر ألماً وانتظرت بكبت خروج صوتها خافت لا يكاد يسمع: ارجوك يا حبيبي وضعت حد الخنجر بين نهديها، وشبكت هي رجليها حول ظهري ضغطا ببطء فتحت عينيها أي نشوة في هذه العيون، وضغطت الخنجر بصدري حتى غاب كله في صدرها واخذت ادعك صدري بصدرها وهي تصرخ متوسلة تعال معي لا تدعني اذهب وحدي"(٣٧).

وتشير "رجاء النقاش" في مقدمة الرواية إلى العلاقة بين مصطفى سعيد وزوجته الإنجليزية جين موريس وينفرد والتي انتهت هذه النهاية العنيفة المؤلمة بالقول: "انها تعودت وتعني جين موريس على أن تثيره بشتى الوسائل والأساليب العنيفة دون ان تسمح له بالاقتراب منها، إنها تشتهيه وتحتقره في نفس الوقت، تريده وتنكره بل وتنكر على نفسها انها تريده، وظلت هكذا تعذبه وتعمل على تهديم اعصابه بلا رحمة حتى هددها بالقتل فلم تعبأ بالتهديد وجاء يوم قرر فيه ان يقتلها بالفعل فاستسلمت للقتل كما تستسلم لاي علاقة جسدية تريدها في هوس مجنون، وكان مقتل هذه الفتاة عنيفاً غريبا وكانت هي نفسها تشتهي هذا القتل وتطلبه وتتمنى لانها كانت تجد مصطفى سعيد مثالاً مجسداً للعنف الافريقي وكان لديها ولاشك الكثير من السادية او الرغبة في تعذيب الآخرين، كما كان لديها أيضاً الكثير من (الماسوشية) أي الرغبة في التعذيب النفسي"(٣٨).

"فجريمة مصطفى سعيد هي قتل للوجدان الأوربي المعقد والذي يُعلن كراهيته واحتقاره لأفريقيا ثم يتمسك بها ويقبض عليها بأصابعه وينشب أظافره فيها حتى لا تضيع فموقف أوربا من افريقيا هو تظافر بالكره يقابله حرص على افريقيا وتمسك مستبد وعنيف بها، وهذا هو نفسه موقف الزوجة الإنجليزية من زوجها مصطفى سعيد[٣٩]، فجريمة مصطفى سعيد قتل للوجدان الأوربي باستبداده وعنفه ورغبته في السيطرة بحثاً عن وجدان اوربي جديد خال من التعقيد والمرض"[٤٠].

الخاتمة

قامت الدراسة بالبحث عن صورة المرأة في رواية "موسم الهجرة إلى الشمال" للطيب صالح وما تحمله تلك الصورة من علامات ثقافية مليئة بالمحمولات الثقافية في ثقافتين مختلفتين ومتقابلتين هما ثقافة الشرق الأسمر والغرب الأبيض، وقد توصلت الدراسة إلى جملة من النتائج لعل أهمها ما يلي:

١-إنَّ للمرأة الدور الرئيسي والاساسي في صنع المواقف الفارقة في الحياة ولذلك لا يمكن اغفال هذا الدور او اهماله او حتى تحجيمه على ارض الواقع؛ لأن المرأة هي المصنع الأول للحياة ونمائها فأتاحة الفرصة للمرأة لممارسة المواقف التي تتناسب مع حاجاتها ورغباتها وطموحاتها ينعكس ايجاباً في بناء الحياة وتعزيز قيمها الإنسانية وبث الحب والعطف والسكينة والاطمئنان مما يؤدي إلى توازن ميزان القيم الإنسانية فيها.

٢- في رواية "موسم الهجرة إلى الشمال" للطيب صالح حضور كثيف لصورة المرأة غير النمطية والمألوفة في مجتمعاتنا، فهي متمردة على السلطة الذكورية وان اختلفت اشكال هذا التمرد عند ثقافة الشرق السمراء وثقافة الغرب الأبيض فقيم المرأة في الشرق الأسمر هي قيم إنسانية حرة ونقية تقوم على تقدير الذات واحترام رغباتها واحترام حدودها تدعو إلى الانصاف والمساواة في إقامة علاقة إنسانية متكافئة مع الرجل الذي تحب والذي تريد وهذا ينعكس في قيمها وصفاتها الاصيلة المتجذرة فيها، فهي لا تنفصل عن الجذور وانما هي متطلعة إلى الأصيل والقيّم منها.

أما صورة المرأة في الغرب الأبيض في الرواية ذاتها فهي تعكس قيم وصفات غير متوازنة ولا تتسم بالإنسانية السوية او حتى الفطرة السليمة التي ميزنا بها الله عن كل الكائنات، فهي قيم قائمة على الاستهانة والتحقير والاستغلال تخلو من العطف والتقدير والاهتمام، قائمة على اللهو والاذلال وهي امتداد لعقدة الاستعمار الغربي الذي يحتل البلد ويستنزفه بقساوة وهو ما أدى في النهاية إلى جريمة القتل التي قام بها "مصطفى سعيد" ضد زوجته الإنجليزية "جين موريس" التي

مهدت لهذا القتل في ظل الخواء الروحي التي تعاني منه فاختارت "رصاصة الرحمة" لوضع نهاية لحياتها.

٣-مثلت صورة المرأة في الرواية المعهودة في كلتا الشخصيتين اللتين تمثلتا في شخصية "حسنة بنت محمود" من الشرق الأسمر، وشخصية "جين موريس" من الغرب الأوربي الأبيض مصدراً للصراع الدامي العنيف على مستوى الفرد وانتمائه لثقافته التي نشأ في ظلها الا ان هناك عنصر مشترك ان الصراعين انتهيا بمأساة مؤلمة وهي الموت، وان كانت دلالتهما في الوسيلة والغاية مختلفان فالموت بالنسبة لـ"حسنة بنت محمود" هو قتل التقاليد الموروثة وظلمها، أما بالنسبة لـ"جين موريس" فهو قتل لانعدام المعنى الذي كانت تعاني منه الشخصية.

الهوامش

(١) ابن منظور، لسان العرب، دار صادر بيروت، المجلد الرابع (د.ت). مادة صور، ١٩٥٦م، ص٤٧٣.

(٢) محمد حسن عبد الله، اللغة الفنية، دار المعارف، (د.ت)، ص٤٥.

(٣) شايف عكاشة، مدخل الى عالم الشعر المعاصر في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية في الجزائر، ١٩٨٨م، ص٨٧.

(٤) م.ن، ص٨٨.

(٥) عماد علي الخطيب، الصورة الفنية الاسطورية، جهنية للنشر والتوزيع، ٢٠١٦، ص٢١.

(٦) جابر أحمد عصفور، الصورة الفنيّة في التراث النقدي البلاغي، (د.ط)، ص٤٦٤.

(٧) سورة غافر الآية ٦٤.

(٨) سورة الأعراف الآية ١١.

(٩) سورة آل عمران الآية ٦.

(١٠) سورة الحشر الآية ٣٤.

(١١) هادي العلوي، فصول عن المرأة، دار الكنوز الأدبية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٧م، ص٩.

(١٢) المرجع نفسه، ص١٠.

(١٣) توفيق الحكيم، المرأة في الأدب، دار الأهالي، دمشق، ١٩٩٦م، ص٦٥.

(١٤) المرجع نفسه.

(١٥) غدير رضوان صوطيح، المرأة في روايات سحر خليفة، رسالة ماجستير، الدارسات الأدبية المعاصرة، إشراف العطشان، كلية الآداب، جامعة بيرزيت، ٢٠٠٦م، ص١٨.

(١٦) زياد جيوسي، المرأة في الرواية العربية، www.algeria.com

(١٧) نهاد جابر، زعرة عيان، صورة المرأة في رواية الزنجية عائشة بنور، رسالة ماجستير، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، كلية الآداب واللغات، ٢٠٢١ – ٢٠٢٢، ص١٢.

(١٨) الطيب صالح، رواية موسم الهجرة الى الشمال، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الاسرة، ص١٠٤.

(١٩) المرجع نفسه، ص١٠٩.

(٢٠) المرجع نفسه.

(٢١) المرجع نفسه، ص١٠٩.

(٢٢) المرجع نفسه، ص١٢٩.

(٢٣) المرجع نفسه، ص١٣٢.

(٢٤) المرجع نفسه.

(٢٥) المرجع نفسه، ص١٣٢.

(٢٦) المرجع نفسه، ص١٣٠.

(٢٧) المرجع نفسه، ص١٣١.

(٢٨) المرجع نفسه، ص١٣١.

(٢٩) المرجع نفسه، ص١٣٦.

(٣٠) المرجع نفسه، ص١٣٦.

(٣١) المرجع نفسه، ص٢٣.

(٣٢) الطيب صالح، مرجع سابق، ص٢٤.

(٣٣) المرجع نفسه، ص٦١.

(٣٤) المرجع نفسه، ص٦٠.

(٣٥) المرجع نفسه، ص١٥٤ – ١٥٥.

(٣٦) المرجع نفسه.

(٣٧) المرجع نفسه، ص١٥٨.

(٣٨) المرجع نفسه، ص١٨.

(٣٩) المرجع نفسه، ص٢٣ – ٢٤.

(٤٠) المرجع نفسه.

قائمة المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.

٢- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر بيروت، المجلد الرابع، ١٩٥٦.

٣- توفيق الحكيم، المرأة في الأدب، دار الأهالي، دمشق، ١٩٩٦م.
٤- جابر أحمد عصفور، الصورة الفنيّة في التراث النقدي البلاغي، (د.ط).
٥-زياد جيوسي، المرأة في الرواية العربية، www.algeria.com
٦-عماد علي الخطيب، الصورة الفنية الاسطورية، جهنية للنشر والتوزيع، ٢٠١٦.
٧-غدير رضوان صوطيح، المرأة في روايات سحر خليفة، رسالة ماجستير، الدارسات الأدبية المعاصرة، إشراف العطشان، كلية الآداب، جامعة بيرزيت، ٢٠٠٦م
٨-الطيب صالح، رواية موسم الهجرة الى الشمال، الهيئة المصرية العامة للكتاب، المشرف العام، د. سمير سرحان، تقديم، رجاء النقاش.
٩-شايف عكاشة، مدخل الى عالم الشعر المعاصر في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية في الجزائر، ١٩٨٨م.
١٠-محمد حسن عبد الله، اللغة الفنية، دار المعارف، (د.ط).
١١-نهاد جابر، زعرة عيان، صورة المرأة في رواية الزنجية عائشة بنور، رسالة ماجستير، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، كلية الآداب واللغات، ٢٠٢١ – ٢٠٢٢.
١٢-هادي العلوي، فصول عن المرأة، دار الكنوز الأدبية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٧م.

List of sources and references

1-The Holy Quran.
2-Ibn Manzur, Lisan al-Arab, Dar Sadir Beirut, Volume IV, 1956.
3- Tawfiq al-Hakim, Women in Literature, Dar al-Ahali, Damascus, 1996.
4- Jaber Ahmed Asfour, The Artistic Image in the Rhetorical Critical Heritage, (n.d.).
5- Ziad Jayyusi, Women in the Arab Novel, www.algeria.com
6- Imad Ali al-Khatib, The Mythical Artistic Image, Juhaniya Publishing and Distribution, 2016.
7- Ghadir Radwan Soutih, Women in Sahar Khalifa's Novels, Master's Thesis, Contemporary Literary Studies, Supervision of al-Atashan, Faculty of Arts, Birzeit University, 2006
8- Tayeb Salih, The Novel Season of Migration to the North, The Egyptian General Book Authority, General Supervisor, Dr. Samir Sarhan, Introduction, Raja al-Naqash.
9-Shaif Akasha, Introduction to the World of Contemporary Poetry in Algeria, Office of University Publications in Algeria, 1988.
10-Muhammad Hassan Abdullah, Artistic Language, Dar Al-Maaref, (n.d.).

11-Nihad Jaber, Zaara Ayan, The Image of Women in the Novel The Negro Aisha Bin Nour, Master's Thesis, University of Qasdi Merbah Ouargla, Faculty of Arts and Languages, 2021-2022.

12-Hadi Al-Alawi, Chapters on Women, Dar Al-Kunooz Al-Adabiyya, Beirut, Lebanon, 1st ed., 1997.